

قَوْلَاغْدُ وَصَوْلَايَهُ وَفَوْلَاغْدُ تَرْفَعُ الْفُلَاغْدُ
من كتاب

مَرْحَبًا يَا هَاجِرَ الْغَدِغْدِ

لفضيلة الشيخ الدكتور

أحمد بن محمد بن سيار بن بازمول هـ

حفظه الله تعالى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .
أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

فلا زالت المدرسة في كتاب شيخنا الإمام ربيع المدخلي - حفظه الله تعالى - **مرحبًا يا طالب العلم** ، وقد توفقنا عند الرسالة الثامنة والتي بعنوان **عوائق في طريق طالب العلم** ؛ والمراد بالعوائق : جمع عائق ؛ وهو الأمر الذي يحول ، أو يحجز بينك وبين العلم ؛ إما بتركه بالكلية ، وإما بعدم الانتفاع به فيكون العلم وبالاً على صاحبه ، وإما أن يكون هذا العائق سبباً لعدم الاستفادة منه الاستفادة الكاملة ، وشيخنا - حفظه الله تعالى - قد أتى كعادته بفوائد جمة ونكت لطيفة ممتة ، فمن ذلك :

أَنَّ الَّذِي يَزِيّ النَّفُوسَ وَيَطْهَرُهَا وَيَزِيّ الْأَرْوَاحَ وَيَطْهَرُهَا هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ بَعْدَ إِرَادَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، وَعَلَيْهِ إِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا لَمْ يَزِكْهُ الْعِلْمُ ؛ أَي لَمْ يَطْهَرِهِ وَيُصَفِّ مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ حَقْدٍ ، وَمَا فِي نَيْتِهِ مِنْ إِرَادَاتٍ فَاسِدَةٍ فَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْعِلْمُ وَبِالْأَعْلَى ؛ إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّده اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ فَيَتَدَارَكُ أَمْرَهُ .

ولما كان العلم النافع ، والعمل الصالح مما يزيّ النفوس ويطهرها ، قال شيخنا - حفظه الله تعالى - : " فعلينا أن نطلب من الله المزيد ؛ أن يرزقنا العلم النافع المزيّ للنفوس " .

إِذَا - بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ - مِنْ مَقَاصِدِ الْعِلْمِ تَرْكِيَةُ التَّفُؤْسِ ؛ لَا التَّفَاخِرَ ، وَالتَّبَاهِي ، وَالتَّعَالِي عَلَى النَّاسِ ، وَطَلَبِ
الرِّيَاسَاتِ .

- وَهِنَا أَنْتَبِهْ : لَمَّا يَقُولُ الْعُلَمَاءُ " طَلَبِ الرِّيَاسَةِ " ؛ لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ حَاكِمًا ، أَوْ أَنْ
يَكُونَ وَزِيرًا لِلدَّوْلَةِ ، لَا ؛ طَلَبِ الرِّيَاسَةِ يَعْنِي أَنْ يَتَصَدَّرَ فِي الْمَجَالِسِ ، وَيَكُونَ مَرَجَعًا لغيره وَلَوْ قَلَّ عَدَدُهُمْ ؛
فَهَذَا مِنْ طَلَبِ الرِّيَاسَاتِ : أَنْ يَكُونَ مَرَجَعًا ، وَيَلْتَفَّ حَوْلَهُ الشَّبَابُ وَيَكُونَ الْأَمْرُ وَالتَّهْيُّ لَهْ ؛ فَهَذَا مِنْ طَلَبِ
الرِّيَاسَاتِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ حَاكِمًا أَوْ وَزِيرًا أَوْ أَمِيرًا أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .
- وَمِنَ الْفَوَائِدِ الَّتِي ذَكَرَهَا شَيْخُنَا - حَفْظَهُ اللَّهُ تَعَالَى - قَوْلُهُ :

" إِذَا رَأَيْتَ عَالِمًا لَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فَلَيْسَ بِفَقِيهِ وَلَيْسَ بِعَالِمٍ " ؛ الْعَالِمُ إِذَا تَعَلَّمَ يَعْمَلُ ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى مَا تَعَلَّمَهُ
، وَيَكُونُ قَدْوَةً لغيره فِي ذَلِكَ ؛ فَإِذَا كَانَ الْعَالِمُ غَيْرَ عَامِلٍ بِعِلْمِهِ فَهَذَا لَيْسَ بِالْعَالِمِ الْمَمْدُوحِ ، وَلَيْسَ بِالْفَقِيهِ الَّذِي
أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا ، فَ (مَنْ يُرِذُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ) (١)
- وَمِنَ الْفَوَائِدِ الَّتِي ذَكَرَهَا شَيْخُنَا - حَفْظَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

أَنَّ الْعِلْمَ عَظِيمٌ ؛ أَمْرُهُ عَظِيمٌ ، آثَارُهُ طَيِّبَةٌ عَلَى صَاحِبِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَاتِهِ ..
أَمَّا فِي حَيَاتِهِ : فَالْعَمَلُ بِهِ وَدَعْوَةُ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَيَسْتَبْصِرُ فِي دُنْيَاهِ .

وَأَمَّا بَعْدَ مَاتِهِ : فَأُورِدَ الشَّيْخُ - حَفْظَهُ اللَّهُ تَعَالَى - قَوْلَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ
انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ) (٢) ، قَالَ شَيْخُنَا :
وَكُلُّ الْأَعْمَالِ تَنْقَطِعُ إِلَّا هَذِهِ الثَّلَاثُ وَمِنْهَا الْعِلْمُ ؛ وَهُوَ أَنْفَعُهُمْ فَنَفَعُهُ عَامًّا لِلنَّاسِ جَمِيعًا " ؛ هَذَا مِنْ دَقَائِقِ فَقْهِهِ -
حَفْظَهُ اللَّهُ تَعَالَى - ، وَمِنْ دَلَائِلِ عِلْمِهِ ، فَهَذِهِ الْأُمُورُ الثَّلَاثُ الْمَذْكُورَةُ كُلُّهَا خَيْرٌ ، وَكُلُّهَا طَيِّبَةٌ ؛ وَلَكِنْ كَمَا قَالَ
شَيْخُنَا - حَفْظَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : " أَنْ أَنْفَعُهُمْ هُوَ الْعِلْمُ ؛ لِعُمُومِ نَفْعِهِ لِلنَّاسِ جَمِيعًا "

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

- ومن الفوائد التي ذكرها شيخنا - حفظه الله تعالى - :

أن صاحب العلم على خطرٍ شديدٍ إذا هو لم يُخلص لله تعالى ، أو لم يُبلِّغ هذا العلم ؛ يبخل به ، ويكتمه ؛ لأنَّ الله علمك وأسبغ عليك هذه النعمة .

- فلماذا لا تقوم بشكرها ؟!

- ولماذا لا تقوم بواجبها من العمل الصادق المخلص ، ومن نشر هذا العلم خالصاً لله - تبارك وتعالى - ، قاصداً بذلك مرضاة الله ونفع الآخرين ؟!

إلى غير ذلك من الأمور التي قد تضر بصاحب العمل ؛ وهذه فائدة أيضاً مهمة ودقيقة ؛ وهي أن كتمان العلم يجعل صاحبه على خطر ، وذلك مصداقاً لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ ، أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ) (٣) ؛ فكاتم العلم مُتَهَدِّدٌ ومُتَوَعَّدٌ بهذا الوعيد ، وهذا يدل على خطورة كتمان العلم ، حتى جاء في حديث أبي هريرة لما ذكر أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ ؟ قَالَ : لَا تُبَشِّرُهُمْ فَيَتَّكِلُوا) (٤) ؛ يعني يتركوا العمل ويظنون أنهم بقول " لا إله إلا الله " ينجون ، ثم لما حضرت الوفاة أبا هريرة أخبر بها تأثماً ..

- ما معنى تأثماً ؟

أي خوفاً أن يكون كاتماً للعلم ؛ أي خوفاً أن يكون ممن كتم العلم .

فإذا ؛ العالم عليه أن يتقي الله - عز وجل - وأن لا يكتم العلم ، وأن يبلغه للناس ، فإذا عرف الحق ؛ بينه ونشره ، وإذا عرف الباطل ؛ رده ولم ينصره .

(٣) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة لجاماً من نار) رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (6284) .
(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده 10/6 . ، وفي رواية : ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا قَالَ : إِذَا يَتَّكِلُوا وَأُخْبِرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِمًا متفق عليه ، والراوي معاذ بن جبل - رضي الله عنه - .

فيا الله كم من أناسٍ نصرُوا باطلاً ، وضيعوا حقاً إلا من رحم الله ، فإلى هؤلاء نقول لهم :

- اتقوا الله في أنفسكم .

- واتقوا الله في إخوانكم .

- ومن الفوائد التي ذكرها شيخنا - حفظه الله تعالى - :

أن البيئة قد تُؤثر على طالب العلم إذا لم يكن عندهم علماء .

- فمن أين يطلب العلم وليس في بلده علماء ، وليس عنده قدرة على طلب العلم ؟

فلا شك أن البيئة الحالية من العلماء قد تكون عائقاً لطالب العلم عن طلب العلم ، أو أن تكون البيئة بما فيها من بعض الناس من أهل البدع ، والأهواء الذين يصدّون عن سبيل الله ، ويحاربون طلاب العلم في طلبهم للعلم النافع ، كما ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - في الأصول الستة أن الذي يعمل بالكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة - يعني - عندهم كالمجنون وكالمتركب للأمر العظيم .

فقد تؤثر البيئة أيضاً في هذا ، وقد أيضاً يؤثر بعض المسؤولين في بعض البلاد من منع طلاب العلم من طلب العلم ؛ لكن هذه العوائق لا تعني أن طالب العلم لا يشتغل بطلب العلم ولا يجتهد في طلبه ؛ بل أولاً يسأل الله - عز وجل - الإعانة والتوفيق ، ثم يشتغل بطلب العلم متوكلاً على الله ، معتمداً على الله ، صابراً محتسباً إلى أن يُوفَّق للعلم .

- ثم ذكر شيخنا - حفظه الله تعالى - فائدة مهمة أيضاً :

وهي أن الأمة بحاجة للعلماء ، وأن الأمة إذا افتقدت للعلماء - كما هو حال بعض البلاد الإسلامية - فإن الأمة إذا افتقدت العلماء بالكلية فإنها يُصيبها من الهوان ، والمشاكل ، ومن الذل ما لا يخلصها منه إلا الله - عز وجل - بإيجاد علماء يتعلمون ، وينشرون العلم ، ويُعلِّمون .

قال شيخنا : الأمة الآن تحتاج إلى علماء ، الأمة الآن في الحضيض - والعياذ بالله - ؛ في حياتها ذل وهوان ومشاكل لا يخلصها إلا أن يوجد فيها علماء عباقرة يتعلمون ، وينهلون العلم من معاقله ، وينشرون هذا العلم الذي يوقظ الأمة من سباتها ؛ العلم الحق ؛ العلم الذي جاء به الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ، وعلى رأس هذه الأمور توحيد الله .

فالعالم الإسلامي اليوم انتشر فيه الضلال ، انتشر فيه الجهل القاتل ، انتشرت فيه الخرافات ، والبدع لا يُربحها إلا الله بعلماء ينهلون العلم من مناهله الصحيحة ، وينشرونه كما تلقوه غصًا طريًا من كتاب الله ، ومن سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ما كان عليه سلف الأمة .

ومن العوائق ؛ وهذا من الفوائد التي ذكرها الشيخ - حفظه الله تعالى - ، ومن العوائق عن العلم والعمل : ما ينتشر الآن عن طريق الإعلام اليهودي ، والنصراني ، والشيعوي ، والرافضي ، والبعثي ، إلى آخره ... : من الإذاعات ، ومن الصحف ، ومن المجلات ، ومن المواقع ، ومن غيرها ؛ من المهليات والمخزيات - والعياذ بالله - والمفسدات ؛ والتي تدعو إلى الفساد ، وصدق شيخنا - حفظه الله تعالى - فإن هذه الأمور تفتن الإنسان ، وتجعله ينغمس في الدنيا وملذاتها ، حتى يرى هذه المهليات والملذات هي الخير ، أو المتعة ، أو الأمر الأهم في حياته فينصرف عن العلم ؛ فتصرفه هذه الملذات الكاذبة ، الملذات الزائلة عن الملة الحقيقية بذكر الله - عز وجل - ، والتعلم لدينه والعمل ، والأنس بالله - عز وجل - ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (5) .

ولذلك على الواحد إذا فُتن بهذه الأمور أن يتدبّر ، وأن يتعقّل ؛ ما هذه إلا ملذات زائلة - هذه إذا كانت حلال - ، وأما إذا كانت ملذات محرمة فالويل الويل ؛ إلا لمن شاء الله ممن مات على التوحيد .

- أيضًا من الأمور والعوائق قال شيخنا :

" وكذلك المواقع العنكبوتية الكثيرة المنبثة في العالم " ، هذه تفسد من عنده شيء من العلم فضلًا عن الجهال

(5) سورة الرعد ، [الآية : 28]

؛ فقد ينشر بعضهم في الإنترنت - في وسائل الاتصال - أمورًا إما كذبًا على دين الله ، وإما بدعًا وضلالة ليست من الإسلام في شيء ، وإما محرّفة ، وإما ضعيفة إلى غير ذلك .. ، فبعض الناس للأسف تجده يتأثر وقد يقع فريسة - مثلاً - لمن يدعو إلى أفكار إلحادية ، فنجد من بعض أبناء المسلمين من يقول مثل هذا الكلام .

- من أين ؟

من الإنترنت ؛ ولذلك أنا ألفتُ نظر الأولياء : آباء ، وأمّهات ، وإخوة كبار ، أو أخوات مشرفات على أخواتهن الصغار أن يحذروا ويحذروا هؤلاء الصغار والمراهقين من هذه الشبكات التي تنشر فكر الإلحاد ، حتى في الأفلام الكرتونية قد ينشرون فكر الإلحاد وإنكار الإله وأن هناك شخص من الأرض يصعد إلى السماء فيقاتل أهل السماء فيقتلهم ، وهكذا يصورون له فكرًا إلحاديًا ، فيتأثر الولد ويكبر على هذا .

يا إخوان هذه أمانة :

الأبناء والبنات أمانة عند أوليائهم ، عليهم أن يتقوا الله - عز وجل - وأن يحفظوهم ويصونوهم من هذه الأمور .

- مرة جلس معنا أحد الإخوة وهو من إخواننا الصالحين وهذا سابقًا - قديمًا يعني - ثم جاءت قضية أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سُحر ؛ سحره رجل يهودي ، وأنه - عليه الصلاة والسلام - سُحر ولكن لم يتأثر - عليه الصلاة والسلام - في دينه ؛ ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (6) ، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (7) .

فالنبي - صلى الله عليه وسلم - معصومٌ في دينه ولكن سُحر في أمر من أمور الدنيا ؛ وهذا حديث في الصحيحين ؛ فإذا بأخينا هذا يقول : لا ؛ الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يُسحر ، وكذب الأحاديث .

- من أين أتيت به ؟

(6) سورة المائدة [الآية : 67] .

(7) سورة الحجر [الآية : 9] .

تأثر بكتاب " في ضلال القرآن " لسيد قطب ، فإنه ذكر عند سورة المعوذتين هذا الكلام ، كما هو عقيدة المعتزلة ، ونحوهم من أهل البدع الذين ينكرون هذه الأخبار .

- فرأيتم كيف تؤثر وسائل الإعلام ، وكيف تؤثر الكتب ، أو المجلات على شبابنا ؟

إن أعداءنا من الخارج لا يستطيعون - بإذن الله - أن يُبيدوا هذه الأمة ، ولكن استطاعوا في بعض أبنائنا - بل وللأسف في كثير من أبنائنا وبناتنا - أن يؤثروا على عقولهم ، وعلى أفكارهم ؛ فتجد عندهم الرفض للدين ، والرفض لأحكام الشريعة ، وطلب الحرية ، والتحلل من دين الله في صورة الحرية ، وفي صورة العدالة ، ونحو ذلك ، وكل هذا من إضلال هؤلاء الذين لعبوا على عقولهم فأفسدوها ، ولذلك هذه الفائدة من شيخنا - حفظه الله تعالى - فائدة مهمة - بارك الله فيكم - .

- وأيضًا من العوائق التي ذكرها شيخنا - وهذا من الفوائد - :

الكبر ؛ ففي صحيح البخاري قال مجاهد : " لا ينال العلم مستكبر ولا مستحي " .

قال شيخنا : " والكبر داء قاتل ، داء مهلك - والعياذ بالله - ؛ مثقال ذرة منه يُرمى صاحبه في الجحيم ؛ لا يتهاون الإنسان في قضية الكبر سواءً على عامة الناس ، أو على العلماء في ميدان طلب العلم ، أو في غيره ؛ هذا الداء خطير ، قال - صلى الله عليه وسلم - : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) (8) قال شيخنا : " قد يكون في الإنسان مثل الجبال من الكبر - والعياذ بالله - ، فمثقال ذرة من هذا الكبر قد يرميه في هوة الجحيم ، ويحرمه من الجنة " ؛ أي ابتداءً فيجب على المسلم أن يتنزه عن هذا الخلق المدمر ،

(8) (صحيح) ؛ وكان أبو بكر رضي الله عنه يخرج إلى السوق يحمل الثياب فيبيع ويشترى ومر عبد الله بن سلام رضي الله عنه وعلى رأسه حزمة حطب فقبل له : ما يحملك على هذا وقد أغناك الله عز وجل ؟ فقال أردت أن أدفع به الكبر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يدخل الجنة عبد في قلبه مثقال ذرة من الكبر) .

المهلك ؛ إلا أن يتغمده الله برحمته ، أو أن يغفر له ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (9) .

أقول - بارك الله فيكم - : الكبر هذا يمنع صاحبه من قبول الحق ويجعل صاحبه يصر على باطله .

- الكبر هذا يقود صاحبه لظلم الناس .

- الكبر يقوده إلى أذية الناس .

- الكبر يقوده إلى التعالي ، والتعال .

ومن ها هنا فإن شيخنا - حفظه الله تعالى - حذر من الكبر في كلام كثير له ، وحث على التواضع ، وعلى

قبول الحق ، وعلى محاربة الكبر في النفس .

- أيضًا من الفوائد قول شيخنا - حفظه الله تعالى - :

" والكفر ، والبدع الكبيرة تحول بين الشخص ، وبين أن يتمتع بما جاء به الأنبياء من الحق ، والنور ، والهدى

، وما يُزكي النفوس ، هذه الصفة الذميمة الوبيلة - والعياذ بالله - ، فكم من الناس قد يحرمه الكبر من طلب

العلم ؛ كيف أطلب العلم على فلان ؛ وفلان ليس بعالم ، وفلان جاهل "

بعض العلماء جهال ..

يحسب نفسه عالمًا وهو جاهل ؛ لأن من رأى نفسه عالمًا فهو جاهل ، كما جاء عن ابن مسعود وغيره ، وكما

ازداد المرء عالمًا يرى نفسه أنه ازداد جهلاً ، كلما تعلم كلما اكتشف جهله فالجهل بحز واسع - والعياذ بالله - ؛

ومراد شيخنا -حفظه الله تعالى- : أن طالب العلم كلما تعلم ، ووقف على الأدلة الشرعية ، وقف أنه قبلا كان

على جهل ؛ فهذا كما قال السلف : " من قال أنا عالم فهو جاهل " ، وأنه كلما تعلم العلم كلما أدرك جهله السابق

، وأنه لم يأخذ من العلم إلا قليلاً ، ولذلك نجد العلماء الكبار يقول الواحد منهم : أنا طالب علم لست بعالم

(9) سورة النساء [الآية : 48] .

وهو عالم ، ومعروفٌ بعلمه ، ونهجه ، وقوته في العلم ؛ فهذا عالم ، فإذا قال أنا طالب علم فهذا من تواضعه ، كم
وكم سمعنا الإمام ابن باز ، والإمام العثيمين ، والإمام الألباني ، وشيخنا النجمي - رحمة الله عليهم - ، وغيرهم ،
شيخ زيد المدخلي - رحمة الله عليه - ، شيخنا الإمام ربيع المدخلي - حفظه الله تعالى - ؛ يقول الواحدٌ منهم :
إنما أنا طالب علم ، أتعلّم وأُعلّم ؛ وهم علماء أئمة ، فرسانٌ في ميدان الحق ، والدعوة إليه ، ولكن العالم متواضع
، أما الذي لا يرى إلا نفسه ، ويرى أن غيره جهالٌ كبراً وغمطاً لحق الناس ، فهذا ما يضر إلا نفسه ، فإن
الناس ترى أن هذا عنده من العلم ما ليس عند ذلك المتكبر ، وعنده من دعوة الحق ما ليس عند ذلك
المنحرف ، وعنده من الأصول السلفية ، والمناهج الأثرية السلفية ما ليس عند ذلك المتكبر ، فذاك المتكبر لا
يزيد نفسه إلا فضحاً ، ولا يزيد حاله إلا قُبْحاً ، فنسأل الله - السلامة والعافية - .

- ومن الفوائد :

التي ذكرها شيخنا -حفظه الله تعالى- قوله : " من الفقه في الدين أنك لا تتعالى ، ولا تستكبر ، فإذا استكبر
فهو جاهل ، فيكون الكبر هذا عقبةً بينه وبين العلم " .

فإذا وجدنا العالم يقول : أنا طالب علمٌ نُقدر قدره ، ونعرف منزلته ، إلا أن يكون هذا المتكلم صادقاً فيما
يقول من جهة أنه ليس بعالم ، وعلمه قليل ، فيكون مطابقاً لواقعه ؛ فهذا من باب الاعتراف ، والصدق بالحال
، ليس من باب التواضع ، وعموماً أنزلوا الناس منازلهم ، واعرفوا لهم أقدارهم .

- ومن الفوائد التي ذكرها شيخنا -حفظه الله تعالى- :

أن من العوائق حب الشرف ، وحب السيادة ، قال عمر - رضي الله عنه - : " تعلموا قبل أن تُسودوا " ؛ يعني إذا
وصل إلى مرتبة السيادة يصعب عليه حينئذٍ أن ينزل فيجلس في حلقات العلم مع الضعفاء والمساكين ، وهو
قد نال مرتبةً كبيرة في نظره ؛ لأنه قد رُفِعَ وعُومِلَ معاملة العلماء - فحب الشرف ، والسيادة - ؛ لأنه إذا نزل
إلى جلق العلم يفتضح عند الناس ويعلمون أنه ليس مستحقاً للسيادة ؛ وهذا والله ضرر على الأمة ؛ أن
بعض الناس يُسود وهو ليس بعالم .

وأيضًا من المعوقات عن طلب العلم كثرة الفتن ، فكثرة الفتن كما ذكر شيخنا -حفظه الله تعالى- من المعوقات عن طلب العلم ؛ لأن الفتن تصرف طالب العلم عن العلم إذا اشتغل بها ، وشارك فيها ، وكثرة المغريات الملهيات أيضًا .

- ومن الفوائد :

ما ذكره شيخنا بقوله : أن البدع كثرت وانتشرت ؛ وكثرة البدع وانتشارها من الحواجز بين العلم النبوي ؛ العلم الذي يحبه الله ويمدح أهله ، ووجدت حواجز بسبب الجهل ، بسبب البدع ، بسبب الفتن ، والفتن تكثر كلما قلّ العلم ؛ كلما قلّ العلم اتسع مجال الفتن ، واتسعت دائرته ، وكثر الفساد ، وكثر القتل ، وكثرت كل ألوان الفساد : من تبرج النساء ، ومن الزنى ، ومن علامات الساعة ، ومن ظهور الفسق ، ومن ظهور هذه الأشياء .

- ومن الدقائق التي ذكرها شيخنا قوله : " هذه الأيام قد تكون بدايةً أو بدأت البداية قبلها لقبض العلم " ؛ أقول : هذا من فقه شيخنا -حفظه الله تعالى- لأن قبض العلم يمر بمراحل .

- فإذا مات العالم مات معه شيء من العلم هذا نوع من القبض .

- والنوع الثاني : أن يقل طلاب العلم على العالم ، نجد خلق أهل العلم كالعلامة الفوزان ، أو العلامة صالح اللحيدان ، أو العلامة شيخنا الإمام ربيع المدخلي ، أو غيرهم من أهل العلم ؛ نجد عندهم من الأعداد اليسيرة من طلاب العلم ، ونجد عند بعض المهرجين والمفحطين والقصاصين ، الذين يفحطون بالسيارة نجد عندهم عددًا لا يتسع المسجد له ؛ يزدحمون الشباب حولهم وهم هؤلاء جهال ليسوا بعلماء ، فهذا من صور قبض العلم ؛ لأن طلاب العلم إذا لم يتكاثروا على العلماء ، وتكاثروا على الجهال ؛ فهذه صورة من صور قبض العلم ، وشيخنا حفظه الله لفت النظر إليها فهذه من دقائقه ، ومن فقهه - حفظه الله تعالى - .

- أيضًا من الفوائد التي ذكرها شيخنا - حفظه الله تعالى -

أن من العوائق في طلب العلم ؛ أن طلاب العلم يبحثون فلا يجدون عالمًا ؛ يقول شيخنا : " يبحث عن العلماء ، فلا يجد العالم الرباني في بلده لكثرة الفساد ، وغلبة الجهل .

بعض البلاد الإسلامية لا تفرق بين يهودي ، ونصراني ، ومسلم ، ولا بين المسلمة ، والكافرة ، واليهودية ،
والشيوعية ، متهتكات إلا من رحم الله .

والرجل حائق اللحية ، ولا بس أفندي ، فلا تكاد تفرق ؛ هذه من الفساد ، ومن آثار الجهل والضلال ، ومن
فقدان آثار العلم في مثل هذه المجتمعات ، قال : " بل تجد من العلماء أو المسمّين بالعلماء ؛ من يلبس لباس
الإفريقي ، ويخلق لحيته ، وإلى آخره ... " .

- هذا عالم ؟!

- هل هذا يصلح لحمل رسالات الأنبياء عليهم - الصلاة والسلام - ؟

فمن البلاء عدم العمل ؛ يتعلم لكن لا يعمل ، والله - عز وجل - قد ذم من علم ثم لا يعمل بعلمه ؛ ﴿ وَاتْلُ
عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (175) ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ
أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكهُ يَلْهَثْ ﴾ (10)

- ومن الفوائد التي ذكرها شيخنا :

أن الله - عز وجل - ذم اليهود والنصارى كثيرا في القرآن ؛ لأنهم لا يعملون ؛ اليهود لا يعملون بما يعلمون ،
والنصارى يعملون بلا علم .

- ومن المعوقات التي ذكرها شيخنا - حفظه الله تعالى - التي تصد الناس عن العلم :

أن يتصدى للعلم الأصاغر ؛ يتعلم قليلا فإذا به يرى نفسه عالما ، والإنسان هو صغير مسكين ؛ يرى نفسه بلغ
النهاية ، ويتصدر ، ويأتيه الجهال ، ويلتفون حوله ، وينقطعون عن العلماء ؛ فهذا من علامات الساعة ، ومن
أشراط الساعة ؛ أن يترك الناس العلماء ، ويذهبون يأخذون عن الجهال الأصاغر ، المتعلمين ؛ فهذا من
البلاء يقول شيخنا : " فمن البلاء الشديد ، ومعوقات العلم ، أن يتصدى هؤلاء فيكونوا بمثابة قطاع الطرق ،
يصدون الناس عن العلم والعلماء ؛ وهذا من علامات الساعة " .

(10) سورة الأعراف [الآيتان : 175 - 176] .

هذا الصغير قد يُفتي بما لا يعلم ، قد يقول على الله بغير علم ، وأما العالم قد يُعطيك في الجلسة الواحدة ما لا تصل إليه بعد سنين ؛ يُعطيك خلاصة علمية ، لو ذهبت بنفسك تبحث أنت ، وشيخك الصغير ما تصلون إليها ؛ فهذه أيضًا من المعوقات التي تعترض طلاب العلم ، فليتنبه لها .

- ومن المعوقات ، - أو قبل أن أدخل إلى تلك المعوقات - ؛ ما ذكره شيخنا موجود ، وملهموس فكثيرًا ما نرى الشباب يلتفون حول بعض المتعلمين ، ويهيلون عليهم ألقابًا علمية ، ويتركون مجالسة العلماء ، ويقدمون أقوال هؤلاء الصغار على أقوال العلماء الكبار .

فإذا قلت له قال الفوزان ، قال ربيع ، قال النجمي ، قال ابن عثيمين ، قال ابن باز ، قال الألباني ، يقول لك : قال لنا شيخنا فلان الصغير ؛ والكلام هنا ليس على مسائل فيها نصوص شرعية ، إنما هي على مسائل فيها الرجوع للعلماء ؛ فهذا بلا شك من البلاء .

يذكر لي أخونا الشيخ الفاضل السلفي أبو همام محمد بن علي البيضاني الصومعي من طلاب الشيخ مقبل - رحمه الله تعالى - ، ومن طلاب الشيخ ربيع ، والنجمي ، وغيرهم ؛ يقول : والله يا أخي أحد إن بعض المتصدرين اليوم كانوا معنا في دماج - عند الشيخ مقبل - لم يتلقوا العلم ولم نعرف عنهم تلقيًا للعلم ، فلما خرج شيخنا مقبل - رحمه الله تعالى - ، وهؤلاء رجعوا ، أو راحوا إلى بعض البلاد الأخرى ؛ إذا بهم يتصدرون المجالس ، ويفتون الناس ، ويأتون بالبلاء ، للأسف الطلاب سمعوا أن هذا من طلاب الشيخ مقبل ، أو كان عند الشيخ مقبل ، فظنوا أنه قد نهل من علمه الجَمِّ ؛ وهو جاهل لم يتعلم فيأتي بالبلاء ، ويأتي بالقواعد الفاسدة ، وبالكلام المضحك المُبكي .

- كم ، وكم نرى في هذه الوسائل ؛ في الواتساب ، وفي التويتتر ، وفي الفيس بوك من بعض المُتصدرين الذين نفخهم العوام ، والجَهَّال فانتفخوا كانتفاخ الورم ؛ في الظاهر أنه انتفاخ ، وفي حقيقته ورم .

والله إنهم جَهَّال ، والله إنهم يأتون بالبلاء ، وبالتفريق ، وبتضييع الشباب ، وبتضييع المسلمين ، فإلى هؤلاء نقول لهم :

اتقوا الله و لا تتكبروا ، اجلسوا في حلق العلم ، وتعلموا ثم تصدروا ، والمُضحك المُبكي أن يأتي هذا الجاهل المُتصدر لطالب علمٍ سلفيٍ تلقى العلم عن العلماء ، وأثنى عليه العلماء فيريد أن يُسقطه ؛ يعني ليس كفاية أنه لا يعلم لا يريد أيضًا للعلم أن ينتشر .

- فكم رأينا من يريد أن يطعن في بعض إخواننا طلاب العلم المشايخ السلفيين من أمثال الشيخ الفاضل أبي الفضل الليبي ، ومن أمثال الشيخ الفاضل عادل منصور ، ومن غيرها من إخواننا طلاب العلم ؛ فهذا والله من العجائب .

جاهل تصدر ويُحارب طلاب العلم الحقيقيين المُستحقين للتصدر : لا تلتفوا حولهم ، لا ترجعوا لهم ، أتركوهم ، - سبحان الله - يجو حولك أنت أعور يقود عميان ، ما الذي سيخرج وما الذي سيكون فإلى الله المُشكى .
- ومن الفوائد التي ذكرها شيخنا - حفظه الله تعالى - :

" أن العجلة ، والفوضى العلمية في طلب العلم تؤدي إلى عدم الاستمرارية في طلب العلم ، يقرأ هنا ، ويقرأ هنا ، وهنا بدون تأصيل ، كان الناس في الأزمنة السابقة لهم طرق توصلهم إلى العلم في أزمنة محدودة ، فيبدؤون بحفظ القرآن ، والكتابة ثم بعد حفظ القرآن يتعلمون في كتيب صغير في الفقه يتعلمون الفرائض ؛ الفرائض من الأساسيات كان لا يبدأ طالب العلم بعد حفظ القرآن إلا بعد معرفة الصلاة ، الآن كثير من طلاب العلم- وهذا كله الآن كلام شيخنا- الآن كثير من طلاب العلم ويمكن من العلماء ضيعوا الفرائض و فيها حديث ضعيف و لكن قد يصدقه الواقع أن علم الفرائض أول ما يُفقد و العياذ بالله ، نحن أدركنا و الله أن بداية التعليم يبدأ الشيخ عبد الله القرعاوي ، وتلاميذه يبدؤون بالفرائض ، والأصول الثلاثة "

يا أخي دَعِ العجلة ؛ تبدأ بالأصول ، والكتب ، والمتون التي تجمع لك أصولاً تُسهل لك ، وتكون سُلماً إلى هذه الكتب الكبار ، تبدأ بالعقيدة الواسطية ؛ وهي عقيدة جامعة على صغر حجمها تحفظها قبل كل شيء قبل كل شيء احفظها ، تحفظ كتاب التوحيد ، وتقممه ، الأصول الثلاثة تحفظها وتقممها ، بلوغ المرام ، أو العمدة ؛ عمدة الأحكام ، أو ما شاكل ذلك إلى غير ذلك ما ذكره شيخنا ، فالمهم أنه يتدرج لا يقفز إلى العلم قفزاً هكذا

، ويخلط هنا ، وهنا ، وهنا ، قال شيخنا : " لهذا نجد كثيرا من الناس ما عندهم تأصيلات ليسوا مؤصلين غير عارف لأصول العلم " .

- تجده في الفقه عنده جهل .

- تجده في المصطلح عنده جهل .

- تجده في الحديث عنده جهل .

- تجده في علم الرجال ما عنده شيء .

وهكذا لو سار بالتدرج على طريقة العلماء الأولين لوجدت عنده الخير الكثير ؛ العلم النافع .

قال شيخنا : " ومن الحواجز أيضًا التعصب ؛ فالتعصب حاجز يؤثر على طالب العلم ؛ إما أن يكون مبتدعا ، رافضيا ، صوفيا ، جهميا ، مرجئا ، معتزليا ، عنده عقيدة ، ومنهج فاسد ؛ هذه تحول بينه وبين العلم الذي أوحاه الله إلى نبيه " إلى أن قال : " فهذه التعصبات العمياء ، والتقليد الأعمى من أكبر العوائق تصد الناس عن طلب العلم الذي يرضاه الله ، والذي يزكي النفوس ، ولو بقي جاهل لا يعرف شيء خير له من أن يتعلم هذه البدع التي تصده عن دين الله الحق ، وعن العلم الصحيح الذي يزكي النفوس .

وهنا أنبه على ، أو إلى مسألة وقد انتهت الفوائد من هذه الرسالة ، فأنبه على مسألة متعلقة بكلام شيخنا - حفظه الله تعالى - في التدرج ؛ التدرج في طلب العلم لمن أراد أن يلم بمجموعة العلوم ، فيأخذ العلم تدرجا ؛ في الحديث ، والفقه ، والتفسير ، والعقيدة ، إلى آخره ...

وليس هذا معناه أن من جلس إلى العلماء ، وتفقّه في الكتاب ، والسنة ، وسار على منهج سلف الأمة ، مع استفادته من العلماء ، والرجوع إليهم ، أنه أصبح غير مؤصل ، وغير مؤهل ، لأن بعض الناس يخلط في هذه المسألة .

- كيف يخلط ؟

يأتي لإنسان تعلم العلم النافع في الحديث ، والعقيدة ، والتفسير ، وجلس إلى العلماء ، وعرف الأصول السلفية ، والمنهجية في طلب العلم ، وعنده قدرة على الكلام في دين الله بما تعلم ، فهذا لا يُقال فيه أنه لم يتأصل كما يفعل بعض الناس ؛ فيطعن في بعض المتصدرين من المشايخ الذين هم عندهم قدرة وأهلية ، وزكاهم العلماء .
فيقول : فلان ما عنده تأصيل علمي .

- أيش هو التأصيل العلمي ؟

أن يكون حافظا للمتون مضيعا للعلم الشرعي الذي مدح الله أصحابه !

إذا تعلم العلم الشرعي الذي امتدح الله أصحابه ، وأثنى النبي - صلى الله عليه وسلم - على طالبه ؛ فإنه يُعتبر - بإذن الله تعالى - ممن يدعو إلى الله - عز وجل - على بصيرة .

وكم رأينا ممن يُقال بأنه متأصل ، ومُتدرج في العلم ، وهو مُضيع ، فالعلم كما قال البرهاري وغيره من أهل العلم : " ليس بكثرة الرواية وليس بكثرة الكتب ولكن العلم : هو الفقه في دين الله - عز وجل - " ؛ فإذا فقه دين الله فإذا فقه دين الله - عز وجل - من كتاب ، وسنة ، وآثار السلف ، وجالس العلماء ، وأثنى عليه العلماء ؛ فهذا مثله لا يُقال : غير مؤصل لأنه هذا الكلام من باب الصدّ عن سبيل الله - عز وجل - فطالب العلم قد يحصل العلم من العلماء ويسمع منهم من مجالسهم فينتفع فإذا شهد له العلماء بالقدرة على الإفادة فإنه يكون مفيدا .

فاحذروا - بارك الله فيكم - من مثل هذه الشُّبه واحذروا - بارك الله فيكم - من أن تنقادوا وراء طلاب علم في الظاهر هم خُواء من العلم فهؤلاء يقول العلماء في مثلهم : " أن الظل لا يستقيم والعود أعوج " ، فأنت أيها المعلم بحاجة إلى تَعَلُّم وقد مر معنا في الأصول الثلاثة وفي غيرها ما قاله البخاري : " باب العلم قبل العلم والعمل " .

أيضا مر معنا من كلام شيخنا - حفظه الله تعالى - : " أن الواجب عليه أن يتعلم قبل أن يتكلم " ، فإذا كان

طالب العلم خاليا من العلم فهو كما يقولون : أعور ؛ يعني لا يبصر جيداً فإذا جلس عنده العوام والجهال فهم عميان لا يبصرون شيئاً فمن ها هنا قالوا : " أعور يقود عُميان " .

يعني ضعيف العلم قليل العلم جاهل يقود من هم أجهل منه ، فمن سيكون معلماً للثاني ، ومن يكون مفيداً للآخر ولذلك - بارك الله فيكم - نعود إلى الكلمة التي قالها ابن سيرين من قبل ، وقالها شيخنا في هذه الرسالة : " العلم دين " ، العلم دين ، العلم دين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

